إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة يناير ٢٠١٥ م

حرب السيدة الأولى

من الأمور الشهيرة في معظم الكنائس الأمريكية الخاصة بالسود أن تلقب زوجة القس "بالسيدة الأولى". إنهم يطلقون عليها هذا اللقب في محاولة لتكريمها وتبجيلها كما هو الحال مع زوجة الرئيس الأمريكي حيث تدعى السيدة الأولى في البيت الأبيض.

وعلى الرغم من أن هذا لا يحدث في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية بشكل رسمي إلا أن العديد من زوجات الكهنة يقعن تحت هذه الحرب. إنهن وإن كن لم يحصلن على هذا اللقب بشكل صريح إلا أنهن يتخذن وضع السيدة الأولى في الكنيسة ، وبالتالي يبدأن في التعامل مع الآخرين من هذا المنطلق.

يتسلل هذا الفكر إلى قلب زوجة الكاهن بطريقة تدريجية خادعة دون أن تدري حيث تختلط عليها الأمور وتستبدل دورها كزوجة كاهن بدور السيدة الأولى في الكنيسة على غرار السيدة الأولى في البيت الأبيض. وتوجد عوامل كثيرة تساعد على هذا الخلط في الأدوار منها:

(١) فرادة وتميز الدور الذي يقوم به زوجها الكاهن مما يجعل زوجته تظن أنها هي أيضاً فريدة وأنها لابد وأن تحظى بمعاملة خاصة.

(٢) مبالغة الرعية في إظهار الإحترام والتبجيل للكاهن وزوجته حيث قد يصل الأمر في بعض الأحيان إلى التعامل معهما بمداهنة ورياء.

(٣) التوقعات غير العملية التي تفرضها الرعية على زوجة الكاهن.

(٤) اتخاذ زوجة الكاهن لهذا الوضع كطريقة غير سوية للتعامل مع شعورها بعدم الأمان وضعف ثقتها بنفسها.

(٥) دخول زوجة الكاهن في منافسة وهمية افتراضية مع زوجها الكاهن حيث تريد أن تبقى تحت دائرة الضوء مثله وأن تحظى بنفس الاحترام والتقدير الذي يحظى هو به.

(٦) غياب الهدف أمام زوجة الكاهن وعدم وعيها بطبيعة دورها الحقيقية والرسالة المطلوبة منها.

(٧) ضعف روحانية زوجة الكاهن مما يساعد على تسلل المفاهيم العالمية إليها حيث تبدأ في استغلال دورها كزوجة كاهن في التسلط والحصول على مميزات خاصة مادية ومعنوية.

(٨) معايشة زوجة الكاهن قبل رسامة زوجها لنموذج زوجة كاهن تتصرف كالسيدة الأولى في الكنيسة وبالتالي ينطبع هذا النموذج في وجدانها وبمجرد أن تتم سيامة

زوجها كاهناً تبدأ في التصرف بحسب هذا النموذج كما لو كان هذا هو الوضع الطبيعي المعتاد.

يكون هذا النوع من الحروب النفس روحية التي تقع تحتها زوجة الكاهن خطيراً جداً على كل من الخدمة وعلى زوجة الكاهن نفسها. وتكمن خطورة هذه الحرب في تسللها بشكل تدريجي يحمل الكثير من الخداع من قِبَل عدو الخير. فالأمور تتدرج من اتخاذ دور زوجة كاهن إلى اتخاذ دور السيدة الأولى بالكنيسة دون أن تقف عند هذا الحد، فعادة ما ينتهي الأمر إلى قيام زوجة الكاهن باتخاذ دور "الكاهن الشريك" لزوجها الكاهن co-priest فتصبح هي المهيمنة والمتسلطة على أمور الخدمة وقراراتها سواء بشكل واضح صريح أو بشكل خفي من وراء الكواليس.

في الواقع إذ يضرب عدو الخير زوجة الكاهن بهذه الضربة فإنه يضرب الكنيسة كلها حيث يتسبب هذا الوضع في عثرة مضاعفة. تأتي هذه العثرة من انقسام الشعب إلى فريقين: فريق يرفض هذا الوضع ويتدمدم عليه فيسقط في خطية الإدانة والغضب، وفريق آخر يُسر بهذا الوضع ويشجعه فيسقط في خطية الرياء والمداهنة. وفي النهاية يكون عدو الخير هو الرابح الوحيد الذي اقتنص الجميع إلى شباكه وشغلهم عن الهدف الحقيقي وهو خلاص نفوسهم.

لذا ينبغي على كل زوجة كاهن أن تفحص نفسها بأمانة وصدق من جهة هذا النوع الخطير من الحروب مستعينة ببعض العلامات التالية التي تدل على وقوعها في هذا الضعف:

(١) **إحساسها بالتميز** عن بقية الرعية لمجرد كونها زوجة كاهن.

(٢) **توقعها لمعاملة خاصة** من قِبَل الرعية وغضبها الشديد وانفعالها في حالة عدم حصولها على هذه المعاملة. ومن أمثلة ذلك تخصيص مكان معين لها في الكنيسة في الصفوف الأولى وغضبها الشديد لو تجرأت إحدى السيدات أو الفتيات وشغلت هذا المكان، تخصيص مكان خاص لسيارتها في فناء الكنيسة، حصولها على نسخ من مفاتيح الكنيسة وقاعاتها وغرفها المختلفة، دعوتها بشكل شخصي إلى الأفراح والمناسبات المختلفة الخاصة بالشعب ... إلخ

(٣) **توقعها أن يكون الجميع في خدمتها** من الصغير إلى الكبير وعدم قبولها لكلمة "لا".

(٤) **سعيها الدائم للحصول على أخبار الرعية** ليس عن محبة ورعاية وإنما عن فضول وتسلط قد يصل إلى حد التطفل.

(٥) **اعتناؤها بمظهرها وملبسها بطريقة صارخة مبالغ فيها** تعكس إحساسها بكونها السيدة الأولى في الكنيسة.

(٦) **طريقة حوارها ونبرة صوتها ولغة جسدها** لا توحي باتضاعها بل تعكس جميعها روح تسلط وهيمنة وعجرفة.

(٧) **توجيه زوجها الكاهن في القرارات المختلفة في الخدمة والتأثير عليه** من جهة بعض الأشخاص.

ومن أمثلة السيدات اللائي لعبن دور السيدة الأولى في الكتاب المقدس إيزابل زوجة آخاب الملك التي قتلت الأنبياء، واضطهدت إيليا النبي، وخططت لقتل نابوت اليزرعيلي والاستيلاء على حقله، وكانت هي الحاكم الحقيقي لمملكة إسرائيل (١مل١٩، ٢١). والمثال الآخر هو عثليا أم أخزيا التي أبادت جميع النسل الملكي لكي تملك على الأرض (٢مل ١١).

كيف يمكن لزوجة الكاهن أن تتعامل مع تلك الحرب؟

(١) إعادة تحديد الهدف وتصحيح المسار. فينبغي على زوجة الكاهن أن تعي جيداً طبيعة دورها، وحدودها، ورسالتها متذكرة دائماً قول القديس أرسانيوس: "*تأمل يا أرساني فيما خرجت لأجله*".

(٢) اكتشاف زوجة الكاهن للدوافع والاحتياجات النفسية الدفينة التي تسببت في انحرافها عن دورها الحقيقي وتبنيها لدور السيدة الأولى في الكنيسة.

(٣) لابد لزوجة الكاهن أن تعي أن هذه الحرب ترتبط ارتباطاً وثيقاً بهوى الكبرياء والمجد الباطل الذي قد يكون له علامات أخرى كثيرة في نواحي أخرى من نواحي حياتها الاجتماعية والروحية. بالتالي ينبغي عليها أن تجاهد جهاداً روحياً قانونياً للتغلب على هذا الهوى الخبيث على أن يتم ذلك تحت توجيه وإرشاد أب روحي مفرز.

(٤) اكتشاف زوجة الكاهن لبعض المفاهيم العالمية التي قد تكون تسربت إليها والقيام بتصحيحها بحسب المفاهيم الكتابية الروحية الصحيحة مثل مفهوم التسلط. "*فدعاهم يسوع وقال أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين*" (مت٢٠: ٢٥-٢٨)؛ "*ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً لا عن اضطرار بل بالاختيار ولا لربح قبيح بل بنشاط ولا كمن يسود على الأنصبة بل صائرين أمثلة للرعية*" (١بط٥: ٢-٣)

(٥) الشبع والامتلاء الروحي والالتصاق الدائم بالله مما يجعل روح التوبة والانسحاق ومخافة الله تسكن في زوجة الكاهن بغنى.

(٦) اتخاذ السيدة العذراء كنموذج ومثال والتشبه بها. فهي بعد قيامة السيد المسيح وصعوده إلى السموات لم تتصرف قط بين التلاميذ والرسل والكنيسة الأولى كالسيدة الأولى بينهم على الرغم من استحقاقها لهذا اللقب بجدارة. لكنها كانت مثالاً حقيقياً للتواضع والوداعة وإنكار الذات.

(٧) أخيراً ينبغي على زوجة الكاهن أن تعي التعريف الحقيقي للكنيسة. فالكنيسة هي بيت الله، وبيت الملائكة، وبيت الصلاة وليست البيت الأبيض أو قصر الرئاسة. بالتالي ينبغي على زوجة الكاهن أن تكون خادمة هذا البيت وليست السيدة الأولى فيه.